شرح كتاب كشف الشبهات

لفضيلة الشيخ : عبد الكريم الخضير حفظه الله تعالى

اللقاء الرابع

جمعية معرفة بالمدينة المنورة
مرخصة من المركز الوطني لتنمية القطاع غير الربحي
برقم (٨٠٠)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيقول الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه النفيس (كشف الشبهات):

(وهذا التوحيد) يعني: الذي دعت إليه الرسل، وهو الذي عَرَّفَه في مطلع هذا الكتاب وهو: "إفراد الله بالعبادة"، وليس هو التوحيد الذي يُقرِّره مشركو زماننا والذي أقر به المشركون الذين أُرسل إليهم النبي ﷺ، وقاتلهم مع اعترافهم به وإقرارهم به، وهو توحيد الربوبية.

يقول: **(هذا التوحيد)** يعني توحيد الإلهية توحيد العبادة **(هو معنى قولك: لا إله إلا الله)** معناها: لا معبود حق إلا الله، لا معبود ولا مألوه ولا مرجو ولا مخوف، ولا يستحق من خصائصه أحد سواه إلا الله جل وعلا.

قال: **(فإن "الإله" عندهم هو الذي يُقصَد لأجل هذه الأمور)**

الإله المنفي بكلمة التوحيد "لا إله" عند هؤلاء المشركين المنفي يثبتونه، وهذا منفي عن غير الله جل وعلا في كلمة التوحيد التي أُمر النبي ﷺ أن يُقاتل الناس حتى يقولوها، ولا يكفي مجرد القول لأن مجرد القول موجود عند مشركي زماننا، وإن أباه ورفض القول به والتلفظ به من هو أذكى منهم وأفهم وأعرف وأفهم لهذه الكلمة من مشركي قريش كأبي جهل وأضرابه - كما سيأتي في كلام المؤلف رحمه الله تعالى-.

برنامج ثمرات التابع لجمعية معرفة بالمدينة المنورة
عبر مواقع التواصل الاجتماعي
واتس آب - تلجرام

(فإن "الإله" عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكًا أو نبيًا أو وليًا أو شجرةً أو قبرًا أو جنِّيًا)

هذا هو الذي يقصدونه سواء كان مشركو العرب وغيرهم ممن بعث فيهم النبي ﷺ وقاتلهم أو من مشركي زماننا، هذا هو الإله عندهم وهو الذي يطلقون عليه فيما جاء بعد ذلك من الأعصار "السيِّد"، يُطلقون على من يرجونه ويخافونه ويدعونه ويلتجئون إليه في الشدائد يُطلقون عليه "السيِّد"، كالسيِّد البدوي مثلًا وغيره ممن يُتخَذ إلهًا من دون الله.

(لم يريدوا أن "الإله" هو الخالق الرازق المدبِّر)

كفار قريش لا يقولون أن "الإله" هو الخالق الرازق المدبِّر؛ لأنهم يُقرُّون به ولو كانوا يَعنون بالإله الخالق الرازق المدبر ما امتنعوا من قول "لا إله إلا الله" لأنهم يُقرُّون به.

(فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده -كما قدمت لك- وإنما يعنون بـ"الإله" ما يعني المشركون في زماننا بلفظ "السيِّد")

أي يتفق المشركون المتأخرون مع المشركين المتقدمين، المشركون المتقدمون يقرون ويعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر، وهؤلاء يُقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر، وكل من الفريقين يشرك معه في توحيد الألوهية؛ ولذا لم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية ولم يدخلوا في الإسلام حينما أقروا واعترفوا به -كما سلف في الآيات السابقة في الدرس الماضي-.

(فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده -كما قدمت لك- وإنما يعنون بـ"الإله" ما يعني المشركون في زماننا بلفظ "السيد"، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي "لا إله إلا الله"، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها)

ولو كان المراد مجرد اللفظ لما تأخر المشركون من الإذعان والإتيان به، لأنه لا يناقض ما هم عليه من الشرك، إذا كان مجرد اللفظ وليس المراد المعنى، لا يعجز أحد عن أن يقول "لا إله إلا الله"، لكنهم يعرفون أن المراد والمطلوب هو المعنى لا مجرد اللفظ، ولذلك صاروا أعرف وأفهم من المشركين المتأخرين الذين يطوفون بالقبور ويذبحون لغير الله وينذرون لغيره وهم يقولون "لا إله إلا الله".

(فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي "لا إله إلا الله" والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها. والكفار الجهال)

وهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون لكنهم عرب أقحاح يعرفون معاني الكَلِم وما تدل عليه.

(والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه)

هذا مقتضى لا إله إلا الله، نفي الألوهية عن جميع ما يُعبد من دون الله، وإثباتها لله وحده **(والكفر بما يُعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله)** الآن يسجد لقبر ويقول "لا إله إلا الله"!! هذا جهل عظيم وضلالة في الرأي، ووصل الجهل في بعض البقاع -بهذه المناسبة- أن شخصًا في بلاد البوسنة قبل الحرب الأخيرة التي صارت عليهم قبل عشرين سنة يقول واحد من الدعاة وقفنا على شخص كثّ اللحية لحيته بيضاء ولا يفتر من قول "لا إله إلا الله " ويبيع السمك وعنده مصحف يسمونه "جوامعي" القطع الكبير، فإذا باع سمكة، قطع ورقة من المصحف ولفها وأعطاها الزبون. هل هذا يعرف معنى لا إله إلا الله؟! أو هل يعرف من الدين سوى الاسم؟! وهذا الذي يسجد للقبر ويقول "لا إله إلا الله" أجهل من هذا الذي يبيع السمك ويلفّه بمعنى "لا إله إلا الله" ومقتضى "لا إله إلا الله".

كفار قريش لما قيل لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا: **(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)**[1] رفضوا أن يقولوا لا إله إلا الله".

(فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك)

يعرفون المعنى ويفهمونه؛ لأنهم عرب على الفطرة، يعرفون مدلولات الألفاظ وما يحيل المعاني يعرفون ذلك كله، وهم المرجع في اللغة العربية؛

(فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهَّال الكفار)

لأنهم لو عرفوا معناها ما وقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك المناقض لها.

(وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها).

شخص توفي من عشر أو أكثر من السنين، إمام في فَنِّه في أصول الفقه في وقته هو مرجع أهل الأرض كلهم، إمام، ومع الأسف هو في بلده سادن قبر، جاءنا ودرس عندنا وبُهِر الناس به وأفادوا من علمه ومع ذلك سادن، ورث السدانة عن أبيه وجده كابرًا عن كابر، ماذا استفاد من هذا العلم؟، وسيأتي في كلام الإمام رحمه الله تعالى أن هؤلاء قد يكون عندهم علوم كثيرة ومعلومات واسعة لكن ما تنفعهم هذه العلوم إذا لم يحققوا كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، مفتاح الجنة "لا إله إلا الله" لا تفيدهم علومهم.

(بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني)

مع الأسف الشديد انصراف الناس عن تعلُّم هذا العلم، وكانت هذه العلوم بدهية عند الناس إلى وقت قريب، -مثل ما ذكرت بالأمس- إذا سلَّم الإمام من صلاة الفجر سأل عن الأصول الثلاثة، وسأل عن بعض ما يضطر إليه من معاني "لا إله إلا الله"، وشروطها، وما تتضمنه، وما تقتضيه، وما يناقضها. أما الآن لا عين ولا أثر! كانت موجودة ولا زالت موجودة في

---

[1] سورة ص آية (٥).

مقررات الصفوف الأولى لكنها أخذوا يخففون منها، ويتخففون من كثير مما يتعيَّن على المسلم معرفته.

(والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله)

يظنون هذا معناها، المتكلمون في كتبهم وموسوعاتهم على كثرتها وتنوعها يقررون هذا المعنى. يعني لو تقرأ كتب الكلام، المواقف، والمقاصد، وغيرها من كتب الكلام مع شروحها التي لا تعد ولا تحصى، التي منها ما يبلغ عشرة مجلدات وأكثر وأقل، لا يحومون حول المعنى الصحيح لـ "لا إله إلا الله" لا يحومون حوله!! وإنما يقررون أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، من نتيجة ذلك ومن أثره أن انتشرت الشركيات في بلدانهم ولا ينكرونها لأنهم لا يدرون أنها تناقض "لا إله إلا الله"، لأن الإنسان قد يعجب كيف انتشر الشرك في الأمة بهذه الطريقة وفيها العلماء وهي خير أمة أخرجت للناس؟!، العلم الذي لا يبنى على أساس صحيح من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لا ينتفع به صاحبه ولا ينفع به غيره، وشواهد الأحوال ظاهرة، كثير من الناس أو ممن يسافر من هذه البلاد إلى أقرب البلدان يضيق ذرعًا بالصلاة في المسجد يقول: لا نجد مسجد ما فيه قبر، ولذلك نضطر نصلي أفراد في أماكن سكننا، هذه مشكلة! إذا كان رأس المال (التوحيد) الذي لا يصح بدونه أي عمل ولا يقبل من دونه أي تقرب إلى الله جل وعلا لا ينفع. إذا كان المسلمون بهذه الصفة فلا بد من أن الدعوة الجادّة إلى هذا التوحيد، والحمد لله يعني الذين تعلموا في هذه البلاد وانتشروا في الأقطار نفع الله بهم نفعًا عظيمًا، وطلاب المنح الذين وفدوا إلينا والدعاة الذين ذهبوا إلى البلدان والأمصار نفع الله بهم، ومع ذلك يبقى أن هذه الأمور والمظاهر الشركية موجودة في كثير من أقطار المسلمين -مع الأسف الشديد-.

(والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجلٍ جُهَّالُ الكفارِ أعلمُ منه بمعنى لا إله إلا الله)

أبو جهل فرعون هذه الأمة يعرف معنى "لا إلى إلا الله" وكبار المتكلمين وحذاقهم يخفى عليهم المعنى الصحيح لـ "لا إله إلا الله"، ولذا وقع ما وقعوا فيه من القيل والقال والكلام الذي لا طائل تحته وأفنوا أعمارهم فيما لا ينفعهم بل فيما يضرهم، وفي النهاية عند حضور الأجل تمنى كبارهم أن يموتوا على عقائد عجائز نيسابور، يعني بعد هذا كله يتمنى الذي أفنى العمر كامل ثمانين سنة في القيل والقال يتمنى أن يموت على عقيدة عجائز نيسابور، فعلى الإنسان -كما سيأتي في كلام الشيخ في الفائدتين- الفرح بما آتاه الله من هذا العلم ووفقه إليه، وأيضًا الخوف العظيم من سلبه -كما سيأتي في كلام الشيخ رحمه الله-.

يقول: **(إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب)** معرفة قلب وتحقيق، وليس معرفة لسان تقول الكلام بلسانك ولا يدخل إلى سويداء قلبك، لا بد أن يكون مخزون في القلب، أما بمجرد اللسان فأي شبهة تزيله إذا لم يتحقق ويتقرر في القلب.

(إذا عرفت ما قلتُ لك معرفة قلب، وعرفتَ الشرك بالله، الذي قال الله فيه: (إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)[2])

يقول: **(وعرفتَ الشرك)** الذي يضادّ التوحيد ويناقضه **(وعرفتَ الشرك بالله الذي قال الله فيه: (إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ))**

الشرك ليس بقابلٍ للغفران، وأما ما دونه وما عداه فإنه يدخل تحت المشيئة بما في ذلك كبائر الذنوب، هذا قول أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج الذين يقولون أن مرتكب الكبيرة كافر، خلافًا للمعتزلة الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة بين المنزلتين في منزلة بين المنزلتين لا كافر ولا مؤمن، ويتفقون مع الخوارج على أنه مخلَّد في النار -نسأل الله العافية-

[2] سورة النساء آية (٤٨).

والمنصوص عليه: **(إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ)** هذا الذي لا يُغفَر، والشرك -كما هو معلوم- نوعان أكبر وأصغر، والعلماء يختلفون في هذا الشرك الذي لا يُغفَر، ودخول الشرك الأكبر في الآية مجمع عليه، وأنه لا يغفر هذا متفق عليه بين أهل العلم، لكن يختلفون في الأصغر، هل يدخل فيما لا يُغفَر كالشرك الأكبر أو لا، يدخل كغيره من الذنوب؟ من أهل العلم من يرى أن الآية عامة تشمل جميع أنواع الشرك ما دام يطلق عليه شرعًا شرك، فهو داخل في **(إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ)** وهذا قول معروف عند أهل العلم وظاهر الآية يؤيده، ومنهم من يقول أن الشرك الأصغر حكمه حكم كبائر الذنوب تحت المشيئة وعلى القول الأول هل يخلَّد مثل ما يخلَّد المشرك شرك أكبر؟ يقولون لا، لا بد أن يعذّب، لا يغفر، لا بد أن يعذّب بقدر هذا الشرك ثم في النهاية يخرج ولا يُخلّد كصاحب الشرك الأكبر.

(وعرفتَ دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دِيْنًا سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس عليه من الجهل بهذا) إذا كنت على بصيرة وبيِّنَة من هذا كلِّه عرفت التوحيد الحقيقي المطلوب المحقِّق لمعنى "لا إله إلا الله" وعرفت ما يضادّه من الشرك.

(أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته)، لأن هذا رأس المال لأن هذا إذا فُقِد فَقَدْ خسر الإنسان كل شيء، افترض أنه يعرف من العلوم ما يعرف ماذا تفيده هذه العلوم؟ لا شيء إذا لم توصله إلى الجنة فلا خير فيها، أفاد من أمور الدنيا ومُتَعِها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث كل شيء، لكنه خسر هذا الخسران المبين في عدم تحقيق التوحيد.

يقول: **(الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال جل وعلا: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّـهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)[3]**

[3] سورة يونس آية (٥٨).

الفرح في الأصل ممدوح أم مذموم؟ **(إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)**[4] لكن هذا إذا كان في أمور الدنيا التي لا يستفاد ولا ينتفع بها ولا تنفعه في أُخراه، (لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)، كما حصل لقارون، ومن على شاكلته، وكم بين المسلمين من قارون؟ ممن لا ينتفع بماله بل هي وبال ووقود عليه -نسأل الله السلامة والعافية- إذا كانت هذه النعمة التي أعطاه الله إياها مما يفيده في دينه ودنياه يفرح بها، نعمة البصر إذا كان يستفيد منها فيما يقربه إلى الله جل وعلا ومثل هذا في بقية النعم كالسمع والعقل، بعض الناس هذه النعم وبال عليه يستعملها فيما حرم الله عليه هذه ليست نِعَم، هذه تنقلب نقم يُحاسَب عليها يوم القيامة.

انتهى اللقاء

[4] سورة القصص آية (٧٦).